اميركا، بحيث لا يؤدي هذا الصراع الى احراج الدول العربية في علاقات التعاون القائمة بينها وبين بريطانيا والولايات المتحدة، كلما امكن ذلك من جهة اخرى.

ولا شك في ان غياب قادة الحركة الوطنية الفلسطينية عن البلاد في ظروف الحرب وقوانينها الاستثنائية، اضافة الى تجمعهم في عدد من العواصم العربية، كان من بين الاسباب التي يصح ايرادها لتفسير هذا الانتقال، لكنه لم يكن السبب الجوهري، ولم يكن حتى سبباً جوهريا؛ فوزن الدول العربية المتزايد وطبيعة مصالحها هما اللذان اوجبا هذا الانتقال.

واقترن بهذا العامل، عامل آخر تفرع عنه، يتصل بالصراعات العربية، العلنية والسرية، التي احتدمت مع تمايز الدول وترسخ مصالح الكيانات المنفصلة والأسر والكتل الحاكمة والطبقات التي تسندها، وحاجات كل منها لكسب تأييد الرأي العام العربي المتعاطف مع مطالب الشعب الفلسطيني، من خلال تقديم العون له حين تبيح القدرات او الاعتبارات السياسية ذلك، ومن خلال التضليل في احيان كثيرة. وهذا العامل، بدوره، وبوجهيه السلبي والايجابي، ادى، من جهة، الى تشدد الدول العربية في التدخل في المسألة الفلسطينية ولعب دور اكبر فيها. وادى، من جهة اخرى، الى تحسين أساليب التحايل، والتضليل، وبالتالي الى المزايدة من اجل ستر الفروق الكثيرة بين الوعود التي تزجى لأوساط الرأي العام، وبين القدرات والنوايا الفعلية.

وقد رأينا، بسبب هذا كله، ان الدول العربية، منذ انتقل اليها زمام المبادرة بكامله، صارت تتبنى، علنا، المطالب ذاتها التي اجمعت عليها غالبية الشعب العربي الفلسطيني والأساليب ذاتها، وتقع في الاخطاء ذاتها ايضاً، وفي التناقضات المتمثلة في التمسك بمطالب الحركة الوطنية الفلسطينية بالرغم من التبدل الكبير في الظروف من جهة، والاصرار على تلبية هذه المطالب من خلال مزيد من التبعية لبريطانيا، ثم للولايات المتحدة الاميركية، التي دفعتها نتائج الحرب الى مركز قيادة العالم الغربي الرأسمالي، من جهة اخرى.

شهدت الفترة التي امتدت بين انشاء «جامعة الدول العربية» في العام ١٩٤٤ واتمام توقيع اتفاقات الهدنة الدائمة مع اسرائيل في العام ١٩٥٠، جملة التطورات الحاسمة التي ادت، في وقت واحد، الى اعلان قيام اسرائيل، وتغييب الدولة العربية الفلسطينية وتشتيت الشعب الفلسطيني وتجزيء فلسطين وتغييب اسمها ذاته عن الخارطة الجغرافية للشرق الاوسط، وعجز الدول العربية، حتى برغم دخولها حرباً رسمية مع اسرائيل، عن منع قيامها او منع الاعتراف بها من غالبية المجتمع الدولي، مع استمرار شعارات الرفض التقليدي ضد الصهيونية واستطراداً ضد اسرائيل، ثم ضد الاعتراف باسرائيل وضد التفاوض معها على تسوية وبالتالي ضد الصلح.

والحق انه من المفيد ان نتوقف بعض الشيء، عند تفصيلات الاحداث الهامة التي تواترت بسرعة شديدة في هذه الفترة، لانها هي التي شهدت صياغة اسس السياسة